بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وكفى وسلامًا على عباده الذين اصطفى، وبعد

ها هو عام يمر على حرب غزة التي انتهت عسكريًّا في ١٨ يناير ٢٠٠٩ بإعلان إسرائيل إيقاف إطلاق النار، ولكن نيرانها على المستوى السياسي والإعلامي والحقوقي داخل إسرائيل وخارجها لم تقف بعد.

هذه الحرب ـ المعروفة بحرب «الرصاص المصهور» إسرائيليًّا، أو «حرب الفرقان» فلسطينيًّا، أو «الحرب السابعة في سجل الحروب مع العدو» عربيًّا ـ تمثل نقطة مهمة في تاريخ الصراع مع العدو الصهيوني، وتمثل أيضًا نقطة مهمة في نزع شرعية الوجود عن هذا الكيان العنصري المجرم.

لقد كان يوم ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨ هو اليوم الأكثر دموية في تاريخ الاحتلال[١]؛إذ سلطت فيه إسرائيل على قطاع غزة أحدث ما تملكه من أسلحة في حرب منفلتة من كل عقال قانوني أو أخلاقي، أو على حد تعبير ميرون بنبنستي «رب البيت جُن»[٢]، وفي مخالفة صريحة وصارخة لكافة المواثيق والقوانين الدولية.

ولقد تميزت هذه الحرب بأنها «العملية الأكثر تخطيطًا في تاريخ حروب إسرائيل»[٣]. وهي أيضًا حسب وصف أحد مخططيها «الحملة الأضخم في تاريخ الجيش الإسرائيلي»[٤].

---

(١) بيان المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، في اليوم الأكثر دموية في تاريخ الاحتلال: مئات القتلى والجرحى في صفوف المدنيين الفلسطينيين في العملية الإسرائيلية في قطاع غزة [باللغة الإنجليزية]، موقع مكتب تنسيق الشئون الإنسانية في الأراضي الفلسطينية التابع للأمم المتحدة، ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٨.

(٢) ميرون بنبنستي، ويل للمنتصرين، هاآرتس، ٢٢/ ١/ ٢٠٠٩.

(٣) ألوف بن، مصداقية جولدستون، هاآرتس، ١٨/ ١٠/ ٢٠٠٩.

(٤) ناحوم برنياع، أولمرت حققنا ما أردنا، يديعوت، ١٨/ ١/ ٢٠٠٩.

ولكنهم يمكرون ويخططون، ويحشدون ويجمعون، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، كانت نتيجة هذه الحرب هو ما عنون به أنتوني كوردسمان المفكر العسكري وخبير الدراسات الإستراتيجية بمركز الدراسات الإستراتيجية والدولية في واشنطن مقاله عن حرب غزة «انتصارات تكتيكية وهزيمة إستراتيجية»[١].

حرب أدارتها إسرائيل بقيادة سياسية فاشلة، منقسمة على ذاتها، جُل همها تحقيق مصالحها الانتخابية. إدارة شبهها كوردسمان تشبيهًا بليغًا بقوله: «أسود تقودها حمير»[٢]. وجيش مدرع من رأسه إلى أخمص قدميه، ولكنه كما يقول المعلق العسكري الإسرائيلي بن كاسبيت: «دخل الجيش الإسرائيلي غزة كمن يتخبطه الشيطان من المس. يمشي على البيض»[٣].

حرب فاشلة كما توقع معلقون وسياسيون إسرائيليون منذ بدايتها مثل الكاتب الإسرائيلي تسفي برئيل في مقاله «أوهام النصر»[٤]، وإبراهام بورج رئيس الكنيست الأسبق في مقاله «انتصارات ؟! لا يوجد شيء كهذا»[٥].

وفي هذه الدراسة نتناول حرب غزة وآثارها من خلال ما نشرته الصحافة الإسرائيلية من مقالات للخبراء والمحللين والقادة السياسيين والعسكريين، ومن خلال أيضًا وسائل الإعلام العالمية، وتقارير الهيئات والأفراد الدوليين، وانتهاءً بتقرير جولدستون وما أحدثه من ردود فعل قوية داخل إسرائيل وخارجها.

وهي مقسمة إلى تسعة أبواب رئيسة، توخيت قدر الطاقة أن تكون أسماء الأبواب والفصول وعناوينها الفرعية في الغالب الأعم مستمدة من أقوال العدو نفسه.

الباب الأول: حرب غزة: أسماء ودلالات: لم تحظَ حرب من الحروب العربية الإسرائيلية بهذا الكم الكبير من الأسماء والأوصاف التي أطلقها عليها الكتاب والمحللون والعسكريون الإسرائيليون أنفسهم؛ مما يدل على أهمية هذه الحرب. وهي أسماء تبين أهداف إسرائيل من حربها على غزة، والطبيعة الإجرامية لهذه الحرب، والأطراف الفاعلة فيها، وسيناريوهاتها، وصلتها بمستقبل طرفي الصراع.

---

(١) أنتوني كوردسمان، انتصارات تكتيكية وهزيمة إستراتيجية، موقع مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، ٩/ ١/ ٢٠٠٩، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، العدد ٣٦٠، ص ٢٢٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٠

(٣) بن كاسبيت، وجهات نظر الساسة الإسرائيليين الكبار بالنظر إلى الحرب، معاريف، ٩/ ١/ ٢٠٠٩.

(٤) تسفي برئيل، أوهام النصر، هاآرتس، ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٨.

(٥) إبراهام بورج، انتصارات ؟! لا يوجد شيء كهذا، هاآرتس، ٥/ ١/ ٢٠٠٩.

الباب الثاني: المقاومة هي السبيل[1]: حسب اعتراف الإسرائيليين أنفسهم، وذلك لمواجهة ما يلاقيه هذا الشعب العظيم الصامد الصابر من عنت وظلم. فإسرائيل حولت غزة إلى سجن كبير محروم من أدنى حقوقه الإنسانية، وسط صمت دولي ودعم أمريكي وغربي لهذا الحصار. كما أن خيار السلام الذي جعله العرب وفريق أوسلو خيارهم الإستراتيجي هو خيار زائف، لم يجنِ منه الشعب الفلسطيني إلا المر والعلقم، وسلطة كل همها مصالحها الشخصية وحفَظ مصَالح الاحتلال وأمنه حتى إنها شاركت ـ باعتراف الإسرائيليين أنفسهم ـ في حرب غزة التي كان من بين أهدافها: إعادة سلطة أوسلو إلى غزة. ويرد هذا الباب بتقارير دولية وشهادات إسرائيلية على من يزعم أن المقاومة هي سبب معاناة الشعب الفلسطيني. كما يعرض الباب لعظمة هذا الشعب الذي يتحدى الاحتلال، مفعمًا بالأمل والحياة، هازئًا من سياط جلاديه والمتآمرين عليه.

الباب الثالث: شهود على الجريمة: يتناول هذا الباب المدونة الأخلاقية للجيش الإسرائيلي التي تفسر لنا كمّ الجرائم التي ارتكبتها وترتكبها إسرائيل في صراعها مع العرب. ويعرض الباب جرائم إسرائيل في حرب غزة من خلال كتابات الصحافة الإسرائيلية وتقارير الهيئات الدولية وشهادتي الطبيبين النرويجيين مادس جليبرت وإريك فوس. ويتناول الباب أيضًا الدور الأمريكي المشارك في جريمة حرب غزة.

وسنفرد في هذا الباب فصلًا خاصًّا عن تقرير بعثة جولدستون لأهميته البالغة؛ حيث إنه «أحد لوائح الاتهام الأشد خطورة ضد القيادة السياسية والعسكرية في إسرائيل»[2]، ولأنه «التقرير الهام والأكثر أهمية وخطورة من التقارير الأخرى»[3]. فهو لائحة اتهام شاملة ضد جرائم إسرائيل في غزة، وفي كافة الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، وضد عرب ٤٨.

الباب الرابع: الحملة الأكبر في تاريخ الجيش الإسرائيلي: هذه الحرب كانت أكبر حملة في تاريخ الجيش الإسرائيلي، وأكثرها تخطيطًا؛ إذ شارك فيها كافة أذرع الجيش الإسرائيلي

---

(١) عنوان مقال للسياسي الإسرائيلي يوسي ساريد، لو كنت فلسطينيًّا أو المقاومة هي السبيل، هآرتس ٢/ ١/ ٢٠٠٩، يتحدث فيه عن كَوْن المقاومة هي الرد الطبيعي لأي شعب، أو على حد تعبير إيهود باراك نفسه عندما كان مرشحًا لرئاسة الوزراء، ماذا كنت ستفعل لو وُلدت فلسطينيًّا، فأجابه باراك بصدق: «كنت سأنضم إلى منظمة إرهابية».

(٢) أسرة التحرير، جولدستون واتهام إسرائيل بجرائم ضد الإنسانية، هآرتس، ١٧/ ٩/ ٢٠٠٩.

(٣) جدعون ليفي، عار لاهاي، هآرتس، ١٧/ ٩/ ٢٠٠٩.

وقوات النخبة فيه، وشُكلت فيها ولأول مرة في تاريخ حروب إسرائيل غرفة عمليات مشتركة بين الجيش والموساد والشاباك. كما شاركت فيها ولأول مرة أيضًا قيادة الجبهة الداخلية. ونالت إجماعًا سياسيًّا وشعبيًّا في الداخل الإسرائيلي. واختارت لها إسرائيل توقيتًا مناسبًا، تكون طليقة اليد فيه من أي تدخل دولي. كما وضعت خطة لخداع حماس شارك فيها كبار قادتها، وشارك فيها أيضًا قوات الجيش الإسرائيلي.

الباب الخامس: الإدارة الإسرائيلية للحرب: أدارت إسرائيل حرب غزة بقيادة سياسية منقسمة على ذاتها، تحركها أهواؤها ومطامعها الانتخابية، قيادة جعلت من الدم الفلسطيني ثمنًا لهذه المطامع والأهواء.

ولقد وقعت إسرائيل في مجموعة من الأخطاء التي أدت إلى هزيمتها. فهي قد دخلت الحرب بغير هدف إستراتيجي، وبغير خطة للنصر، وبتقدير زائد لقوة حماس، وخوف مبالغ فيه من وقوع قتلى أو أسرى صهاينة، واستخدام مفرط للقوة، وتوق يائس لصورة النصر، وبعدم فهم لطبيعة الشعب الفلسطيني، وعدم الاستفادة من دروس التاريخ ودروس الحروب السابقة.

الباب السادس: الإدارة الفلسطينية للحرب: تتناول فصول هذا الباب كيف استطاع الشعب الفلسطيني وقيادته المقاومة مواجهة الاختلال في موازين القوى مع العدو. وكيف أمكنهم تحويل الضعف الفلسطيني إلى قوة، وقوة الإسرائيليين إلى ضعف. وكيف استطاع كذلك التكيف مع المتغيرات دون تفريط في الثوابت أو تنازل عن الحقوق أو رضوخ لإرادة العدو وإملاءات القوى الدولية. وكيف استطاع أيضًا تعظيم الاستفادة من جوانب القوة لديه ـ مثل الاكتظاظ البشري، والعامل الجغرافي، والطبيعة العمرانية للقطاع، والسلاح القليل ـ في تحقيق معادلة الرعب مع العدو وإفشال مخططات الإذلال والتركيع. ويرد الباب على بعض الادعاءات عن اختفاء المقاومة أمام العدو، واستخدامها للمدنيين كدروع بشرية، أو أنها السبب في كثرة الخسائر البشرية لدى أبناء القطاع الصامد.

الباب السابع: من المنتصر؟ يجيب هذا الباب عن سؤال مهم: من المنتصر في هذه الحرب ؟ وذلك عبر استعراض معايير النصر أو الهزيمة إسرائيليًّا وفلسطينيًّا. وكذلك، عبر الحديث عن نتائج هذه الحرب التي أدت إلى تهاوي الردع الإسرائيلي، وتراجع مكانة إسرائيل الدولية، والتي أدت أيضًا إلى تعزيز مكانة حماس فلسطينيًّا وإقليميًّا ودوليًّا.

الباب الثامن: حرب غزة ومستقبل الصراع: يتناول هذا الباب تأثير هذه الحرب على مستقبل أطراف الصراع وعلى الوجود الإسرائيلي ذاته، «فالنزاع الإسرائيلي ـ الفلسطيني غير قابل للحسم بالقوة. وإسرائيل لن تنجح في قمع تطلع الشعب الفلسطيني إلى الاستقلال»[١].

والصواريخ الفلسطينية ـ التي يحلو للبعض أن يسميها بالصواريخ العبثية ـ تشكل تهديدًا خطيرًا لأمن إسرائيل وبقائها. وهي ـ مع صواريخ المقاومة في لبنان ـ تمثل لإسرائيل «الكابوس الأمني الأشد منذ ١٩٤٨»[٢]. وقدرة هذه الصواريخ «على تشويش الحياة في وسط البلاد من المناطق المجاورة ـ مثلما يجري الآن في الجنوب ـ تكفي لتهديد اقتصاد الدولة ومجرد بقائها على قيد الحياة لزمن طويل»[٣].

ولقد تحولت إسرائيل هذه بحربها على غزة إلى «دولة مارقة وحيوان دنس»[٤]، «أياديها قد كُبلت»[٥]، و«العالم قد ملَّها»[٦]، و«صبره عليها آخذ في التضاؤل»[٧]، وهي «بعيون مفتوحة تسير نحو التحطم والسقوط»[٨].

الباب التاسع: وبقيت كلمة أخيرة: يبين هذا الباب أن الحرب ما زالت مستمرة على غزة إنسانيًّا عبر الحصار الجائر المشدد المستمر المفروض على القطاع، والذي يمنع إعادة الإعمار، ويخنق الحياة الطبيعية في القطاع الصامد. ويذكر الباب وسائل الإنصاف ومساءلة الكيان الصهيوني على جرائمه. كما يتناول هذا الباب أهم الظواهر والدروس التي ينبغي على المقاومة والأمة تعظيمها والاستفادة منها.

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أوجه شكرًا خاصًّا إلى القائمين على المواقع التي استقيت منها مادة هذا الكتاب، وهي: الأسرى للأبحاث والدراسات الإسرائيلية، وكالة سما الإخبارية، صحيفة الحياة الجديدة الفلسطينية، موقع صحيفة فلسطين، جريدة

---

(١) عوزي بنزيهان، الفيل والمشكلة الإسرائيلية، معاريف، ٨/ ١/ ٢٠٠٩.
(٢) آفي شنيئور، التهديد الأكبر: صواريخ في سماء إسرائيل، يديعوت، ٢٩/ ٣/ ٢٠٠٩.
(٣) يوفال شتاينتس، التجريد المفقود، هآرتس، ١٢/ ١/ ٢٠٠٩.
(٤) إسرائيل هرتيل، لا تشكلوا لجنة تحقيق في عملية الرصاص المصهور، هآرتس، ١/ ١٠/ ٢٠٠٩.
(٥) ألوف بن، مصداقية جولدستون، هآرتس، ١٨/ ١٠/ ٢٠٠٩.
(٦) إيتان هابر، نهاية اللعبة، يديعوت، ١٨/ ١٠/ ٢٠٠٩.
(٧) دوف فايسغلاس، تقرير جولدستون: هذه مجرد الأعراض، يديعوت، ١٩/ ١٠/ ٢٠٠٩.
(٨) شلومو جازيت، إسرائيل بعيون مفتوحة تسير نحو التحطم والسقوط، معاريف، ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٩.

القدس العربي، جريدة العرب اليوم، الوطن الكويتية، الوطن القطرية، موقع الصحفي الفلسطيني صالح النعامي، مركز الزيتونة للدراسات، إسلام ديلي، البشير، مركز الشرق العربي للدراسات الإستراتيجية، مركز دراسات الوحدة العربية، المشهد الإسرائيلي، البديل العراقي، جامعة الدول العربية، سويس إنفو، هيومان رايتس ووتش، العفو الدولية، الصليب الأحمر، وكالة الأونروا، مكتب تنسيق الشئون الإنسانية للأراضي الفلسطينية المحتلة (أوشا)، مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة.

كما لا يسعني إلا أن أوجه أيضًا شكرًا خاصًّا لثلاثة أقلام إسرائيلية حرة رفضت الممارسات القمعية للاحتلال، وتضامنت مع الشعب الفلسطيني، وهم: الكاتبة عميره هاس، والصحفي المختص بحقوق الإنسان جدعون ليفي، والمفكر الإسرائيلي آفي شليم.

والله أسأل أن يتقبل هذا العمل مني، وأن يجعله لوجهه خالصًا، وأن ينفع به. وهذا هو جهد المُقل. وهو شهادة إسرائيلية بعظمة المقاومة وعظمة الشعب الذي أخرج هذه المقاومة. وهو رد أيضًا على دعاة الاستسلام والرضوخ للاحتلال.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *